نزوعي وذي اتجاه الا في نمط الانتاج الرأسمالي) ٠

كما نتخلص من احجية مسألة سكنت التقاليد الماركسية طويلا مع انها بكل بساطة مسألة لا وجود لها : وهي التي طرحها ماركس في نهاية مقدمة ١٨٥٧ « مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي » عندما تساءل كيف يستطيع « فن » عهد غابر ، مرتبط كليا بعلاقات زمانه الاجتماعية وعلاقاته الايديولوجية بشكل خاص ، ان يحتفظ بـ « سحر » لا يقاوم يشد انسان المجتمع البرجوازي ، ويبدو كما لو كان « فنا » ابديا ٠ لكن « سحر الفن الاغريقي » ليس سرمديا ابدا ، لسبب بسيط ، هو أن هذا الفن لم يكن في عرف اليونان فنا ، فالالياذة لم تكن تعني لهم « عملا ادبيا » وكذلك حال تراجيديات سوفوكل او اعمال بارتينون المعمارية او تماثيل براكسيتيل ٠ ولم تصبح « الالياذة » او « أوديب ملكا » نصوصا « أدبية » الا بعد استرجاع لاحق ، وبعد هذا الاسترجاع فقط تحولت الى « ادب » وانتجت اثارا ادبية داخل تشكيلة ايديولوجية جديدة ٠ فالمسألة الحقيقية (والتي لن نطرحها هنا لذاتها) هي اذن معرفة الشروط المادية (وبشكل خاص استمرار تقسيم العمل اليدوي والعمل الذهني على الرغم من تحولاتهما) التي تستطيع فيها عناصر تشكيلات ايديولوجية ماضية ان تستعاد وتطرح نفسها وتتغير داخل تشكيلة جديدة ، ناتجة عن تطور نمط جديد من الانتاج المادي ٠ لكن هذه المسألة لا يمكن طرحها قبل دراسة الادب (والفن) كشكل (تشكيلة) ايديولوجي برجوازي بشكل خاص ٠

نقول اذن اولا ، ان الادب قد تشكل تاريخيا في الحقبة البرجوازية ، كمجموع وقائع لغوية ، (او بشكل افضل : ممارسات لغوية خاصة) مندمجة بشكل غائي (ذي اتجاه معين) في عملية التدريس العامة ، بحيث تنتج اثارا تخيلية ضرورية لاعادة انتاج الايديولوجيا البرجوازية كايديولوجية مسيطرة ٠ وهكذا يظهر لنا ان الادب يخضع بشكل عام لتحديدات ثلاثة : « لغوية » ، « مدرسية » ، و « خيالية » (وسنعود الى النقطة الاخيرة التي تستلزم اللجوء الى التحليل النفسي في شرح الاثار الادبية) ٠

ينتج التحديد « اللغوي » بشكل جوهري من واقع ان مادة وهدف (لانه يشارك مباشرة في تكوينها) عمل الانتاج الادبي هو وجود **لغة مشتركة** ترمز التبادلات اللغوية : ينحرف الادب عن هذه اللغة بطريقة محددة (غير اعتباطية) تقرر نقطة انطلاقه ونقطة وصوله ٠ وترتبط هذه **اللغة المشتركة** من حيث هي **لغة قومية** بالشكل السياسي للـ « ديمقراطية البرجوازية » ، فهي المحصلة التاريخية لصراع طبقي خاص ٠ وبذلك تناظر القانون البرجوازي (الحقوق) في وظيفتها الاساسية والتي هي اعطاء شكل موحد ، وكوني ، لسيطرة طبقية جديدة في فترة تقدمية تاريخيا (الفترة البرجوازية) ٠ وهذا يعني ان اللغة ترتبط بالتناقضات الاجتماعية المتولدة في عملية مستمرة ٠ فما هي جوانب هذا التناقض ؟

ان هذا التناقض هو احد اثار الشروط التاريخية التي تقوم فيها السيطرة الاقتصادية، السياسية والايديولوجية للطبقة البرجوازية : ويتطلب ذلك على المستوى القاعدي ، تغيير علاقات الانتاج تحت تأثير نمط الانتاج الرأسمالي ، كمايتطلب ايضا تغييرات جذرية للعلاقات الايديولوجية في البنيان الفوقي ٠ ونستطيع ان نصنف هذه التغييرات بـ « الثورة الثقافية » البرجوازية التي لا تفرض فقط بناء ايديولوجية جديدة ، بل تفرض تحقيقها ايضا، كايديولوجيا مسيطرة في اجهزة الحكم الايديولوجية الجديدة وكتغيير كامل في علاقاتها المختلفة (العلاقة بين اجهزة الدولة) ٠ ان السمة الاساسية لهذا التغيير الثوري الذي يشمل اكثر من قرن ، والذي يتم تحت اشكال متفرقة وناقصة منذ فترة زمنية اطول ، هو